

"اشهدوا" .. من كانت بلافاتسكي الحقيقية؟ 2

دانييل كالدويل

ثمة شيء في داخلي — ذاتي الأسمى والمتألقة — هي التي
تفكر وتكتب نيابةً عني

يعتقد بعض الطلاب أن "ه. ب. ب." تكشف بنفسها أن
"الحكيم" الذي كان يستخدم جسد "بلافاتسكي" هو نيرماناكايا².
ففي رسالة مؤرخة في 15 سبتمبر 1887، كتبت السيدة
بلافاتسكي إلى السيد جودج:

[ابدأ بقبول انتخابكما - أنتما كل من «جودج» و«إليوت كوز»
لمدة عام واحد، وإذا ما أديتما استعداداً للالتزام بالبقاء في هذا
الدور مدى الحياة، فقد تتخذ الأمور والأحداث - بفعل قوى
غيبية - مساراً يؤدي إلى انتخابكما بالإجماع مدى الحياة - تماماً
كما حدث معي ومع «أولكوت» - لتواصل العمل بعد رحيلنا. هل

1

هو جسد شفاف يصنعه الحكيم للظهور لتلاميذه بعد Nirmanakaya² موته.

تدركان معنى ذلك؟ إنه يعني أنكما، بعدم موافقتكما، تحكمان عليّ بحياة بائسة وميتة تعيسة، مع فكرة تورق ذهني مفادها أن «الثيوصوفيا» قد بلغت نهايتها. ويعني أيضاً أنني، لسنوات عدة، لن أكون قادرة على دعمها أو توجيه مسارها؛ لأنني سأكون حينها في حالة وجودية تضاهي حالة «النيرماناكايا»⁴ إذ حتى في عالم العلوم الغيبية قد تحدث إخفاقات، أو تأخيرات، أو حالات عدم ملائمة. ولكن، يبدو لي أنكما لا تفهمان ما أعنيه].

تكتب بلافاتسكي هنا أنه بعد وفاتها: سيتعين عليّ العمل من خلال جسدٍ يجب أن يتماهي مع نيرماناكايا ونظراً لأن عملية التماهي هذه قد تستغرق سنوات، فقد ساورها القلق من أنها "لن تكون قادرة على تقديم المساعدة" للقضية والحركة الثيوصوفية خلال تلك الفترة.

وفيما يلي ما كتبه بلافاتسكي في مسرد المصطلحات الملحق بكتابها "مفتاح الثيوصوفيا"³ حول مصطلح "نيرماناكايا"⁴:

تفيد التعاليم الباطنية بأن مصطلح "نيرماناكايا" الذي يعني حرفياً - جسداً مُحوّلاً - يشير في الواقع إلى حالة وجودية. وهي حالة يختارها الحكيم أو اليوغي بعد الموت، مفضلاً إياها على حالة "دارماكاي"⁵ أو حالة النيرفانا⁶ المطلقة. وسبب هذا

³ Key to Theosophy.

⁴ Nirmanakaya.

⁵ Dharmakaya.

⁶ absolute Nirvanic.

الاختيار هو أن حالة "دارماكايا" تفصل المرء نهائياً عن عالم الأشكال⁷، وتمنحه نوعاً من الغبطة أو النعيم الأثاني الذي لا يمكن لأي كائن حي آخر مشاركته فيه؛ مما يحرم "الحكيم" من إمكانية تقديم العون للبشرية أو حتى للكائنات الروحية (الديفا)⁸. أما في حالة "نيرماناكايا"، فإن "الحكيم" لا يترك خلفه سوى جسده المادي، محتفظاً بكل "مبادئه" الثانية باستثناء "المبدأ الكامي"⁹ (المتعلق بالرغبات)، إذ يكون قد استأصل هذا المبدأ تماماً من طبيعته خلال حياته، بحيث يستحيل عودته للظهور بعد الموت. وهكذا، وبدلاً من الانغماس في نعيم أناني، يختار "الحكيم" حياة قائمة على التضحية بالذات - وهي حياة تمتد طوال دورة الوجود - ليتمكن من مساعدة البشرية بطريقة غير مرئية، لكنها بالغة الفعالية. وعليه، فإن "نيرماناكايا" - سواء كان "تشوتوكتو"¹⁰ أو "خوبيلخان"¹¹ أو حكيماً أو يوغياً خلال حياته يصبح عضواً في ذلك الحشد غير المرئي الذي يحمي البشرية ويرعاها دائماً ضمن حدود قانون "الكارما". ورغم أنه قد يُخطئ أحياناً بينه وبين "روح" أو "ديفا" (كائن روحي) أو حتى "إله"، يظل

عالمنا المتجلي. المترجم.⁷

ارجعوا للمسرد النيوصوفي لمعرفة معاني المصطلحات. Devas⁸ المترجم.

⁹ The Kamic.

¹⁰ Chutuktu.

¹¹ Khubilkhan.

"نيرماناكايا" دائماً قوةً حاميةً ومفعمةً بالشفقة؛ فهو بمثابة ملاكٍ حارسٍ لمن يستحقون مساعدته.

من الذي "تجسّد" في جسد بلافاتسكي؟

لنطرح أولاً عبارتين موحيتين من رسائل المهاتما "كوت هومي" قد تلقيان بعض الضوء على هذه المسألة.

وفي إشارة إلى السيدة "بلافاتسكي" كتب المعلم "كوت هومي" ما يلي:

(بعد قرابة قرن من البحث غير المثمر، اضطر رؤساؤنا إلى اغتنام الفرصة الوحيدة لإرسال كيان أوروبي إلى أرض أوروبية، ليكون بمثابة حلقة وصل بين ذلك البلد وبلدنا).

من "رسائل المهاتما إلى أ. ب. سينيت" الرسالة رقم 26،
مذكرة سرية للمعلم "ك. هـ." حول "السيدة العجوز"
بلافاتسكي وُردت في "سيملا" خريف عام 1881.

وفي رسالة ثانية كتب المعلم:

[يستطيع الـ "تشانغ-تشوب"¹² (وهو حكيم تحرّر، بفضل قوة معرفته واستنارة روحه، من لعنة التقمص "غير الواعي") -

¹² Tchang-chub.

متى شاء وأراد - أن يتقمص أجساداً جديدة، ليس فقط بعد الموت الجسدي، بل مراراً وتكراراً أثناء حياته إذا اختار ذلك. فهو يملك القدرة على اختيار أجساد جديدة لنفسه - سواء على هذا الكوكب أو على أي كوكب آخر - بينما لا يزال محتفظاً بهيئته القديمة، التي غالباً ما يبقى عليها لأغراض تخصه]. (من «رسائل المهاتما» إلى أ. ب. سينيت، الرسالة رقم 49). كما كتبت مدام بلافاتسكي ملاحظة مثيرة للاهتمام وذات دلالات عميقة في مجلة "لوسيفر":

[ومما غاب عن ذهن "أ. ب. سينيت" في تلك اللحظة، بلا شك، هو أن من بين مجموعة المسارين التي ينتمي إليها مراسله السراني [كوت هومي]، يوجد اثنان من أصل أوروبي؛ بل إن أحد هؤلاء - وهو من يُعد في مرتبة أعلى من ذلك «المُعَلَّم» [كوت هومي] - ينحدر هو أيضاً من أصل أوروبي، إذ هو -بحسب تعبيره في رسالة وجهها بنفسه إلى العقيد أولكوت في نيويورك- "سلافي" من جهة ما في "تجسده الحالي". - مجلة «لوسيفر»، أكتوبر 1888، ص 173؛ أُعيد نشرها في «الأعمال الكاملة» لـ "ه. ب. ب." المجلد العاشر، ص 153. [أضيفت الحروف المائلة].

ثمة تصريح مثير للاهتمام للغاية أدلت به بلافاتسكي يفيد بأن الرئيس المباشر لـ "كوت هومي" كان أوروبي الأصل، وأنه كان "سلافياً جزئياً في تجسده الحالي". وتذكر "بلافاتسكي" أيضاً أن هذه المعلومة الأخيرة قد نُقلت إلى العقيد "أولكوت"

في نيويورك، وذلك عبر رسالة كتبها ذلك الرئيس المباشر (الذي يُعد من "الحكماء" أو الحكماء الرؤوساء المتسامين).

يطرح المؤلف المجهول لكتاب «الحركة الشيوصوفية» (طبعة عام 1925، ص 378) اقتراحاً قيماً حول هذا المقطع:

إن وضع "ه. ب. ب" لعبارة "التجسد الحالي" بين علامتي تنصيص¹³ يستحق بذل جهدٍ حدسيٍّ لفهم سببه؛ وكذلك حقيقة أن "ه. ب. ب" ذاتها كانت، في "تجسدها الحالي" آنذاك، "سلافية" بنسبة النصف تماماً.

من كان رئيس "المعلم ك. هـ" الذي كان أوروبياً -ومن أصل سلافي جزئياً- في "تجسده الحالي"؟

استكمالاً لهذا المسعى الحدسي، دعونا نتفحص بعض المصادر الأولية الثانية.

لقد خاض "إيه. بي. سينيت"¹⁴ تجربةً استثنائية مع "المعلم كوت هومي" حيث دَوّن في ملاحظةٍ موجزةٍ حول هذه التجربة ما يلي:

وضعت خط تحت العبارة. المترجم. ¹³

¹⁴ A.P. Sinnett.

رأيت المهاتما كوت هومي في هيئته النورانية ليلة التاسع عشر من أكتوبر عام 1880؛ إذ استيقظت للحظة، لكن سرعان ما غبت عن الوعي مجدداً (في جسدي المادي)، بينما أصبحت واعياً خارج الجسد في غرفة الملابس المجاورة، حيث رأيت واحداً آخر من "الإخوة" -تبيّن لاحقاً أنه الشخص الذي أطلق عليه "أولكوت" اسم "سيرابيس"¹⁵ وهو "أصغر" الشوهانات¹⁶. من "رسائل المهاتما" الرسالة رقم -3أ في الطبقات الثلاث الأولى.

بعد نحو أربع سنوات، وبينما كان ويليام جودج في لندن في زيارة لمنزل السيد سينيت، دارت المحادثة المثيرة للاهتمام التالية. وقد كتب السيد جودج ما يلي:

[سألته "أي لسينيت" عن رؤيته لـ "كوت هومي" فقصّ عليّ ما يلي: "كان مستلقياً في فراشه في الهند ذات ليلة - انظر أعلاه -، وحين استيقظ فجأة، وجد كوت هومي واقفاً بجانب سريره. حاول النهوض قليلاً، فوضع كوت هومي يده على رأسه، مما جعله يسقط فوراً عائداً إلى الوسادة. ويقول إنه وجد نفسه حينها خارج جسده، في الغرفة المجاورة، يتحدث إلى "حكيم" آخر، وصفه بأنه إنكليزي أو أوروبي، ذو شعر فاتح وبشرة بيضاء، ويتمتع بجمال فائق. وهذا هو الحكيم

¹⁵ Serapis.

¹⁶ Chohans.

نفسه الذي وصفه لي أولكوت عام 1876 وذكر لي اسمه أرجو مسح هذا الاسم بعد قراءته. يقول سينيت إن هذا الحكيم الأوروبي ذو مرتبة روحية عالية جداً...]. من كتاب "الرسائل التي ساعدتني" إصدار دار نشر الجمعية الثيوصوفية ص 196.

لاحظ أن هذا الحكيم، الذي يُدعى سيرابيس، وُصف بأنه "إنكليزي أو أوروبي، ذو شعر فاتح وبشرة بيضاء، ويتمتع بجمال فائق.

في عام 1883، كان العقيد أولكوت يشفي الناس مستعيناً بـ "قوته المسمرية"¹⁷، وهو يروي التجربة التالية:

في ذلك اليوم، وبينما كان [المريض بدرينات بابو] يتلقى علاجاً لعينه -وهو أمرٌ كان يستحوذ على جلّ تفكيري-، أخذ فجأةً يصف رجلاً متألّفاً رآه ينظر إليه بعين العطف. بدا أن قدرته على الرؤية الاستبصارية قد بدأت تتطور جزئياً، إذ كان يرى هذا المشهد رغم أن جفنيه كانا مغلقين. ومن خلال الوصف الدقيق الذي قدمه لي، لم أجد صعوبةً في التعرف على ملامح أحد أكثر معلمينا تبجيلاً... فقد وصف لي [بدرينات] شخصاً ذا عينين زرقاوين، وشعرٍ فاتحٍ منسدل، ولحيةٍ فاتحة اللون، بلامح وبشرة ذات طابعٍ أوروبي. ... كان الوصف ينطبق بدقةً على شخصيةٍ حقيقيةٍ؛ إنه "معلمٌ معلمينا" (كوت

¹⁷ mesmeric power.

هومي وموريا)، أو ما يُعرف في الهند بلقب "باراماغورو"¹⁸ وهو الشخص ذاته الذي كان قد أهداني في نيويورك -قبل مغادرتنا إلى بومباي- رسماً صغيراً ملوناً لنفسه. "أوراق مذكرات قديمة" المجلد الثالث، الصفحات 430-431.

تشير السجلات إلى أن المعلم سيرايبس قدّم للعقيد أولكوت رسماً ملوناً صغيراً لنفسه في نيويورك". انظر: "رسائل من معلمي الحكمة"¹⁹ السلسلة الثانية.

وفيما يتعلق بالعلاج بالتنويم المغناطيسي (المسمرية) الذي كان يمارسه العقيد أولكوت، كتب المعلم كوت هومي إلى إيه. بي. سينيت ما يلي:

يتم هذا [الشفاء] برمته من خلال قوة خصلة من الشعر، أرسلها "شوهان" الأصغر -الذي نكنّ له كل المحبة- إلى أولكوت. هذا تعليق من "كوت هومي" على مقال صحفي بعنوان "علاجات حققها العقيد أولكوت في كلكوتا باستخدام التمريرات المغناطيسية"، نُشر في صحيفة كلكوتا إنديان ميرور²⁰.

انظر: "رسائل بلافاتسكي إلى إيه. بي. سينيتا" لملحق الثالث.

¹⁸ Paramaguru.

¹⁹ Letters from the Masters of Wisdom.

²⁰ The Calcutta Indian Mirror.

يُعثَر مجدداً على تأكيدٍ يفيد بأن سيرابيس كان هو الرئيس أو المعلم لكلّ من المعلمين "كوت هومي" و"موريا"، وذلك في هذا التصريح الذي أدلى به هنري أولكوت:

كتب إليّ أحد أعظمهم - وهو "معلم المهاتما موريا وكوت هومي" - الذي سمع عنهما عامة الناس... في الثاني والعشرين من يونيو عام 1875 ما يلي:

"لقد حان الوقت لأطلعك على هويتي. أنا لست روحاً بلا جسد يا أخي، بل أنا إنسانٌ حيٌّ؛ مَنْحني "المحفّل" الذي ننتمي إليه قوى ستكون من نصيبك أنت أيضاً يوماً ما. ولا يسعني أن أكون معك إلا بالروح، إذ تفصلنا في الوقت الراهن آلاف الأميال..." - من كتاب **"أوراق مذكرات قديمة" المجلد الأول، ص 237.**

وقد ذُكر رئيس 21 كوت هومي أيضاً في رسالة من بلافاتسكي:

[لقد دخل "ك. هـ" أو "كوت-هومي" - في حالة من النوم تستمر ثلاثة أشهر؛ وذلك استعداداً لعملية "الساماهي" (حالة من الاستغراق المتصلة) التي تسبق "المساررة" (مرحلة التكريس الروحي) -وهي المرحلة قبل الأخيرة- والتي سيصبح بعدها واحداً من أسمى "الحكماء". مسكينٌ "ك. هـ."؛ فجسده الآن ممددٌ بارداً ومتصلباً داخل بناءٍ حجريٍّ مربعٍ، يخلو من النوافذ والأبواب، ولا يمكن الوصول إليه إلا عبر ممراً تحت

الأرض يبدأ من باب في "تونغ-تينغ"²² (وهي حجرة مخصصة لحفظ الآثار المقدسة، وتوجد في كل معبد²³ أو دير بوذي تبتّي). أما روحه فهي حرة تماماً. ويمكن للحكيم أن يبقى على هذه الحال لسنوات، شريطة أن يكون جسده قد أُعِدَّ بعناية مسبقة عبر تقنيات مثل "التمريرات المغناطيسية". إن المكان الذي يتواجد فيه الآن -داخل ذلك البرج المربع- جميل للغاية؛ إذ تقع جبال الهيمالايا على يمينه، وتوجد بحيرة بديعة بالقرب من الدير. ويتولى "الشو-هان" الخاص به (وهو المرشد الروحي، أو المعلم، ورئيس الدير التبتّي) رعاية جسده، كما يقوم موريا أيضاً بزيارته من حين لآخر].

(يعيش موريا حالياً، في الغالب، مع كوت-هومي الذي يقع منزله في اتجاه جبال كاراكوروم²⁴، وراء لداخ²⁵ - وهي منطقة تقع في "التبت الصغرى" وتتبع حالياً كشمير. إنه مبنى خشبي كبير، مصمم على الطراز الصيني ويشبه "الباغودا"²⁶، ويقع بين بحيرة وجبل جميل... نادراً جداً ما يخرجون، لكن بإمكانهم إسقاط أجسادهم النورانية في أي مكان). رسالة من ه. ب. ب. (هيلينا بتروفنا بلافاتسكي) إلى السيدة هوليس بيلينغز، من مدينة سيملا، بتاريخ 2 أكتوبر 1881. نُشرت في

²² Toong-ting.

²³ Thaten.

²⁴ Kara Korum.

²⁵ Ladak.

²⁶ Pagoda.

"ذا ثيوسوفيكال فوروم"²⁷ بوينت لوما، كاليفورنيا، عدد مايو
1936، الصفحات 343-346.

يتضح مما سبق أن "سيرابيس"²⁸ - أحد القادة أو
"الشوهانات" في الأخوية الغيبية - كان بمثابة الرئيس أو
المعلم لكل من المعلم كوت هومي والمعلم موريا. وعلاوة على
ذلك، فإن "سيرابيس" باعتباره (نيرماناكيا) قد اتخذ "تجسده
الحالي" مستخدماً ذلك "الجسد القديم" المعروف باسم "ه. ب.
بلافاتسكي" كأداة لـ "حياة التضحية بالذات" التي يعيشها.
وتساعدنا هذه الرؤى على فهم دلالة كلمات "المعلم ك. ه."
التالية حول "ه. ب. بلافاتسكي" فهماً أكثر شمولاً:

بعد قرابة قرن من البحث العقيم، اضطر قادتنا إلى اغتنام
الفرصة الوحيدة المتاحة لإرسال جسد أوروبي إلى أرض
أوروبية، ليكون بمثابة حلقة وصل.

²⁷ The Theosophical Forum.

²⁸ Serapis.